

القيم الإنسانية
في القرآن الكريم



القيم الإنسانية في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور
وهبة الزحيلي

دار المنكب

الطبعة الثانية
1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله معلّم الإحسان ، والصلاة والسلام على النبي العدنان ، وعلى آله وأصحابه عباد الرحمن وبعد :

فهذا بحث جديد ، حاضرت في بعض مشتملاته في أكثر من دولة ، تحت عناوين متعددة ، منها : خصائص المبادئ أو القيم والأخلاق الإسلامية ، ومنها أخيراً في دولة البحرين : أثر القيم في ارتقاء وانهيار الأمم ، والحاجة إليه ماثلة وضرورية في كل عصر ومكان ، لأن بقاء الأمم ونهضتها وعزتها لا يكون بغير قيم ثوابت ، وآداب وأخلاق رصينة ، وانهيار الأمم وانحدارها وتخلفها يكون بسبب انحسار القيم أو تركها وإهمالها ، والسير في فلك الأهواء والنفوس الشريرة الأمانة بالسوء . ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبوا اخلاقهم ذهبوا
والتزامنا المبادئ الصالحة إحياء للنفوس ، وعودة إلى مثوى الدين والحق والخير ، واتباع الأهواء مزلفة وضلالة ، وبُعد عن حمى الدين ورقابة الضمير ، وخيانة لله والرسول والأمة والوطن .

* * *

منطلقات المبادئ

الإنسانية الثابتة في القرآن

لقد أكمل الله الأديان السماوية السابقة بالإسلام ، وجعله متميزاً بصفة هي كونه « الدين الحق » فقال الله تعالى :

﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس : ١٠٨] .

وقال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٩] .

وختم الله بالإسلام رسالات السماء والشرائع الإلهية ، وتم فيه إعلان نظام الحياة المتكامل الأمثل للفرد والجماعة ، ووضع الحقوق والواجبات الخاصة والعامة ، وأودعت أمانة التكليف العظمى في ضمير كل فرد ، ووعي كل جماعة ، قال الله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

[المائدة : ٣] .

وصار شعار الوحي الإلهي وهدفه : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

[آل عمران : ١٩] .

العقيدة الصحيحة :

ففي نطاق إنسانية الإسلام : لا بد من عقيدة صحيحة في الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . والإيمان بهذا الإله الحق العدل العلي القدير سلوة المكروب ، ومفزع الخائفين ، وملجأ المضطرين وملاذ الإنسان في كل حال ، فهو الذي يمنح النعمة ، ويزيل النقمة ، ويجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويضمن للإنسان حريته وكرامته ، وللضعيف حقوقه ، فيقتص من الظالم وينتصر للمظلوم ، ويهب للعبد رجاء ، وللإنسانية إخاء ، وللناس إدراكاً للحقائق الأساسية في طبيعتهم البشرية .

ومن أعظم ثمرات الإيمان بالإله الحق الخالق غير المخلوق : أن يكون الناس سواء في الانتماء إلى أصل واحد ، والاتجاه نحو رب واحد ، والخضوع والإذعان لسلطان واحد ، لا تتجزأ فيه السلطة ولا يشاركه فيه بشر يستعبد الناس ، ويستذل الرقاب ، ويذبح الأبناء ، ويستحيي النساء ، فالكل عباد الله ، وكرامتهم مصونة ، ومقدراتهم وحقوقهم مضمونة :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

والإسلام هو الذي يجعل الناس جميعاً إخوة متعاونين بحق ، لا استعباد فيه لفئة على فئة ، ولا استعلاء لأحد على أحد ، ولا امتياز لجنس على آخر ، ولا لإنسان على سواه .

الألوهية وصف ثابت خالد لذات واحدة في الوجود :

والإسلام يمنع الإنسان من اتخاذ إلهه هواه ، ومن الانسياق لنزعات الشر والأهواء الجامحة ، ويمده بالقوة والعزم والإرادة الحازمة لاقتحام الصعاب والشدائد ، ويحذره من اليأس والقنوط ، والجنوح إلى الشر ، والخوض في مزالق الشيطان ، ويجنده بطاقة من الإيمان الصحيح الذي يوجهه نحو الخير والمنفعة والمصلحة ، وينفره من اللغو واللهو والعبث وشغل الوقت بما لا يفيد .

العدل بين الناس :

والإسلام يقيم العدالة في الأرض ، ويسوّي في الحقوق والواجبات بين الغني والفقير ، وبين الضعيف والقوي ، وبين الرجل والمرأة ، مع التخفيف عنها أحياناً ، ويفرض في أموال الأغنياء حقوقاً كاملة للفقراء تقوم الدولة باستيفائها ، ثم توزيعها وصرفها في مصارفها المعروفة :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ [التوبة : ٦٠] .

وذلك حتى لا تنفرد أو تستبد فئة بمال الله ، وتجوع فئة أخرى من الناس ، وليس للغني فضل في دفع زكاة المال :

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [المعارج : ٢٤-٢٥] .

محاربة الامتيازات :

وليس في شرعة الإسلام فضل أو امتياز للغني بسبب غناه ، ولا للولد ميزة لمولده وأسرته ، وإنما الجميع في عدل الإسلام ورحمته سواء ، وعليهم أن يعيشوا إخوة متعاونين متحابين متضامنين في السراء

والضراء ، يد واحدة على العدو ، قال الله تعالى :
 ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] ،
 وقال ﷺ فيما رواه أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله عنها : « ذمة
 المسلمين واحدة ، يسعى بها أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

ردائل الأخلاق :

ولا سباب ولا شتم ولا تباغض ولا تدابر ولا أحقاد بين المسلمين ،
 قال ﷺ : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي » ،
 « لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تناجشوا ، وكونوا عباد الله إخواناً » .

العدل مع غير المسلمين :

ومن أسمى معاني الإنسانية والعدل في الإسلام التزام جادة العدالة
 مع الأعداء ، حتى على المسلم ، قال الله تعالى مخاطباً المؤمنين :
 ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾
 . [المائدة : ٨] .

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا
 وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ ﴾ [المائدة : ٢] .

أي لا يحملنكم بغض قوم على العدوان عليهم ، بل اعدلوا معهم
 وتعاونوا على الإحسان ، واتقاء ما يسخط الله من مخالفة أوامره .

الخشوع لأمر الله :

ومن أهم صفات المؤمنين في القرآن لتحقيق العبودية للمخلوق أو
 إنسانية الإنسان التي تشعره بعزة النفس : الخشوع في الصلاة ، والبعد

عن لغو الكلام ، وأداء الزكاة ، وحفظ الفروج ، ورعاية الأمانة حفظاً
وأداء ، قال تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ
مُعْرَضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ خَفِظُونَ ﴿٥﴾
إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١-٨] .

جهاد النفس والهوى والأعداء :

ولقد أكد الله تعالى وصف المؤمنين بالإيمان والجهاد في سبيل الله
في آيات كثيرة أخرى ، منها قوله عز وجل :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٥] .

ويتجلى أثر الإيمان في جهاد النفس والهوى والشيطان ، وإطاعة
أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، ومخالفة وساوس الصدور الآثمة ، فمتى
رأينا من ينقاد إلى شيطانه ، ويتكل على غيره في رخائه أو شدته ،
ويحارب شريعة الله صراحة أو سراً ، فلنعلم أنه غير مؤمن ، بدليل بيان
القرآن الصريح في قوله عز وجل :

﴿ إِنَّهُ ^(١) لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

[النحل : ٩٩] .

فكل من استسلم للشيطان هو غير مؤمن . جاء في صحيح البخاري
عن سفیان بن عیینة قال : ما في القرآن أشد علي من قوله تعالى :

(١) أي الشيطان .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [المائدة : ٦٨] .

أي القرآن ، ومعنى إقامة هذه الكتب امتثال جميع ما فيها من تعاليم ، والتزام ما وضعته من حدود ؛ لأن الإيمان الحقيقي يقتضي التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل الفعلي في الحياة بقواعد الإيمان وأحكامه ، ولا يكفي الإيمان القلبي ما لم يقرن بالعمل الصالح ، كما أراد القرآن في كثير من آياته ، مثل قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [فصلت : ٨] .

أي غير منقطع ، وضمن الله في آية أخرى الأمن والهداية لمن لم يشب إيمانه بظلم ولا جور ، فقال عز وجل :

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[الأنعام : ٨٢] .

منهج غير المؤمنين :

وفي مقابل فئة المؤمنين للموازنة أو المقارنة : هناك فئة الكافرين الذين استحقوا العذاب ، والخلود في نار جهنم ، فقال سبحانه :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤١﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٧﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٢﴾ وَلَوْ نَكُنَّ نَاطِقِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيِّنَاتٍ مِنَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفَاعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٨-٣٨] .

التعاون والتراحم :

ونحن اليوم مطالبون بأن نتراحم ونتعاون فيما بيننا ، فلا يبغى بعضنا على بعض ، ويعين القوي الضعيف ، ونطفىء نار العداوة فيما بيننا ،

وليحترم كل منا كرامة أخيه الإنسان في الداخل والخارج ، مسلماً كان أو غير مسلم ، فلا يقتله ولا يمثل به ، ولا يدمر بنيانه ، ولا يهدم عمرانه ، ولا يقطع شجره أو يقلع زرعه ، أوصى أبو بكر رضي الله عنه قائد جيوشه يزيد بن أبي سفيان ، فقال : « إني موصيك بعشر : لا تقتلنَّ امرأة ولا صبياً ، ولا كبيراً هرمأ ، ولا تقطعنَّ شجراً مثمرأ ، ولا تخربنَّ عامراً ، ولا تعقروا شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، ولا تحرقنَّ نخلاً ، ولا تفرقنَّه ، ولا تغلنَّ ، ولا تجبنَّ » .

* * *

أنواع القيم الإنسانية في القرآن

لقد استعرضتُ القرآن الكريم ، فوجدت أن القيم الإنسانية التي اشتمل عليها أنواع أربعة : هي قيم دينية إنسانية ، وقيم شخصية أخلاقية وحياتية ، وقيم اجتماعية ، وقيم عالمية .

أما القيم الدينية الإنسانية : فهي الإيمان بشعبه المختلفة :

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ . . . ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

والدعاء : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] . وآيات

في (البقرة : ١٨٦ ، والأعراف : ٥٥ ، والمؤمنون : ٦٠) .

والتقوى : ﴿ وَتَكَرَّوْا فَمَا كَانَ حَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

﴿ وَيَلِيَسُ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

والعبودية : ﴿ قُلْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا النَّقْوَى ﴾ [الزمر : ١٠] .

﴿ يَتَّبِعُوا لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الزخرف : ٦٨] .

﴿ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١] .

﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

وشكر النعمة : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا

نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [النحل : ١١٤] .

والخضوع وإسلام الوجه لله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [البقرة : ١١٢] .

ورقابة الله في السر والعلن : ﴿ قُلْ إِنْ تَخْفَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ

اللَّهُ وَيَسَلُّكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ [آل عمران :
٢٩] ، والنساء : ١٤٩ ، طه : ٧ ، الأنبياء : ٤٩ ، ١١٠ ، والتوكل
على الله :

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة : ١٠] .

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فْتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] .

واللجوء إلى الله وحده في كشف الضر :

﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِذْ يُرِيدُكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ
لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

وأما القيم الشخصية الأخلاقية والحياتية : فهي الحفاظ على الكرامة
الإنسانية :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وإعمال طاقة الفكر وإبداع العقل :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران : ١٩١] .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ [المؤمنون : ٧٨] .

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

والصدق وتجنب الكذب :

﴿ لَيْسْتَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٨] .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ [الزمر : ٣٢] .

والرحمة : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٤] .

﴿ إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِمَّنِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

والصبر : ﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [هود : ١١٥] .

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾

[طه : ١٣٠] .

والثقة بالذات تؤخذ من مفاهيم عدة آيات تندد بفعل المقلدين والأتباع ،

مثل :

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْمَكَابِثَ وَتَفَقَّطَعَتْ بِهِمْ الْأَسْبَابُ ﴾

[البقرة : ١٦٦] .

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾

[الأنعام : ١٤٨] .

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأَثَرِهِم مُّهُتَدُونَ ﴿٢٣﴾ وَكَذَلِكَ مَا

أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّدِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ

ءَأَثَرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ [الزخرف : ٢٢-٢٣] .

والمسؤولية الفردية :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر : ٣٨] .

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، (النجم : ٣٨) .

والبعد عن الأهواء واتباع خطوات الشيطان :

﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَلَيْنَهُم

بِذِكْرِهِمْ فَهَرِمَ فَهُمُ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧١] .

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٤] .

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾

[البقرة : ١٦٨ ، ٢٠٨ ، الأنعام : ١٤٢] .

وعدم الاشتغال بلهو الحديث :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣] .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ [لقمان : ٦] .

والأكل من الطيبات والكسب الحلال :
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٢] .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا
مِنَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٨] .

وقد ذم الله المنافقين والكفار بقوله : ﴿ سَمِعْتُمْ لَكَذِبٍ أَكَلْتُمْ
لِلشُّحِّ ﴾ [المائدة : ٤٢] أي المال الحرام .

وتجنب المضار مثل المسكرات والمخدرات :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْكَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي
الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠-٩١] .

وجهاد النفس والهوى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ [آل عمران : ١٤] .
﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحج : ٧٨] .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿١٦٦﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس : ٩-١٠] .

والجرأة والشجاعة وعدم الخوف من الموت :

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] .

والإخلاص في العبادة لله والعمل وإتقان الأعمال :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر : ٢] .
﴿ هُوَ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر : ٦٥] .
﴿ وَمَا أَمْرُهُ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة : ٥] .

والتواضع : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان :
٦٣] ، والتواضع لا ينافي توفير العزة والكرامة للمؤمن ، فذلك غير
التكبر والعجب :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

وأما القيم الاجتماعية : فكثيرة منها : الوفاء بالعهد والوعد والعقد والالتزام :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١] .

﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٧] .

وصلة الرحم والجار :

﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال : ٧٥] .

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [النساء : ٣٦] .

والإحسان المادي والأدبي إلى الوالدين والأهل ، والحفاظ على الأقارب ، وعدم الاقتراب من الفواحش الظاهرة والباطنة :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ كُمَ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمَلَقٍ نَّحْنُ نَرزُقُكُمْ وَإِنَّا هُمْ وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَاخِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

والإحسان المادي والمعنوي إلى الفقراء والمساكين واليتامى ، والإنفاق في سبيل الله والجهد والاقتصاد في النفقة وعدم التبذير :

﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٦] .

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ﴾ [الإسراء : ٢٧] .

والتعاون على البر والتقوى ونبذ التعاون على الإثم والعدوان :

﴿ وَمَا وَثُقُوا عَلَى النَّبِيِّ وَالْقَوَىٰ وَلَا نَعَاوُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُونِ ﴾ [المائدة : ٢] .

والقول الحسن للناس أو الكلم الطيب وتجنب الكلم الخبيث :

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوَفِّي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ
فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم : ٢٤-٢٥] .

وتلازم العمل الصالح مع الإيمان (انظر المائدة : ٩ ، التوبة :
١٠٥ ، السجدة : ٤٦ ، الكهف : ١٠٧) والحذر من ادعاء حسن
الأعمال مع أنها شر محض :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٣-١٠٤] .

والمسابقة إلى الخيرات :

﴿ وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيَا فَأَسْتَفِئُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة : ١٤٨] .
﴿ فَأَسْتَفِئُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٤٨] .
﴿ أُولَٰئِكَ يَسْعُرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦١] .

والحرص على فعل الطيب وتجنب الخبيث :

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ [المائدة : ١٠٠] ، (وانظر الأعراف :

٥٨ ،) .

والأخذ بالأيسر وترك العسر ودفع الحرج والتكليف بالطاقة :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .
﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

ومقاومة الظلم ورفضه :

﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ تُعَزَّرَ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود : ١١٣] .

والوسطية في الأمور واتباع الأحسن :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

﴿ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر : ٥٥] .

ودعم مراكز الخير والفضيلة والعبادة :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [التوبة : ١٨] .

وكراهية المذبذبين والمنافقين :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٦﴾ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢-١٤٣] .

والترغيب في الشفاعة الحسنة والتنفير من الشفاعة السيئة في قوله

تعالى :

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا مَنَّ اللَّهُ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِمَّا مَنَّ اللَّهُ ﴾ [النساء : ٨٥] .

وحفظ الأمانات والعهود :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨] .

والإحسان للناس عامة :

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

والإذعان للحلال وتجنب الحرام المقرر في الهدى الإلهي :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ [النحل : ١١٦] .

وغيض البصر عن المحرمات :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور : ٣٠] .

وعدم إشاعة الفاحشة بين الناس :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[النور : ١٩] .

واختيار النظام الأصح في الزواج والطلاق والميراث :

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [النور : ٣٢] .

﴿ أَطْلَقْ مَرَّتَانٍ فَمَا سَاكُفُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحْ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ،

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

وَالْأَقْرَبُونَ^ط ﴾ [النساء : ٧] .

وصيانة السمعة ومنع الفساد والفتنة بتحريم الغيبة والنميمة

والتجسس وسوء الظن (الحجرات : ٦-١٣) ،

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ [البقرة : ٢٠٥] .

ومنع الاستغلال بتحريم الربا وأكل أموال الناس بالباطل كالغصب

والنهب والقمار والسرقه وقطع الطريق والبغي :

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ [البقرة : ١٨٨] .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

[آل عمران : ١٠٤] .

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وإصلاح المعاملات ، وإنصاف الكيل والميزان :

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، (وانظر هود : ٨٤-٨٥ ، والإسراء : ٣٥ ، والشعراء : ١٨١-١٨٣) .

وعدم النظر لما في يد الآخرين :

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [طه : ١٣١] .

والغناء النظر إلى الأنساب :

﴿ فَإِذَا نْفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

ومنع الظلم والتزام العدل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء : ٤٠] .

﴿ وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ١٩] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل : ٩٠] .

والحفاظ على الحياة والنفس ، وعدم قتل الأولاد خشية الفقر :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [الإسراء : ٣٣] .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ [الإسراء : ٣١] .

وتطهير المجتمع من الرذيلة والفاحشة وطهارة العرض :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور : ٢] .

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾

[النور : ٤] .

والتنديد بأفعال الجاهلية وعاداتها من احتقار الأنثى ووأد البنات :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

. [النحل : ٥٨-٥٩] .

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير : ٩٨] .

ورد النزاع إلى الله والرسول (الكتاب والسنة) والحكم بما أنزل الله ، والاعتصام بحبل الله ، أي القرآن والإسلام :

﴿ فَإِن لَّنَنْزِعُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] .

﴿ وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [المائدة : ٤٩] .

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وصلة من قطع الود من الأقارب وغيرهم :

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ [الرعد : ٢١] .

واتخاذ البطانة الحسنة :

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، (وانظر النساء :

١٤٤ ، والمائدة : ٥١ ، والتوبة : ١٦ ، ٢٣) .

وحب العمل وربط الرزق بالسعي والكسب ، وكرهية السلبية

والاتكالية :

﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك : ١٥] .

والإصلاح بين الناس والتحكيم في تسوية المنازعات الزوجية

والاجتماعية والدولية :

﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء : ١٢٨] .

﴿ وَإِن خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾

. [النساء : ٣٥] .

والتحذير من فتنة الأموال والأولاد :

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] .

وتجنب الثناء أو المدح بما لم يفعله الإنسان :

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ

بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [آل عمران : ١٨٨] .

والثبوت من العلوم والأخبار :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْهُ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات : ٦] .

وأما القيم العالمية : فأهمها احترام المعاهدات والمواثيق :

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْآيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ

جَعَلْتُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي

نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ

أُمَّةً هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِءٍ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ

تَخْلِفُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ وَلَنْ تَسْلُنَ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ

بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ وَلَا

تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾

[النحل : ٩١-٩٥] وانظر (الرعد : ٢٥) .

﴿ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْتَظِرُوا إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

وحب الإنسانية من خلال حب الهداية لدين الله الحق ، والدعوة

الدائمة إلى الله ، بدليل تكرار الخطاب في الآيات بقوله تعالى : « يا

أيها الناس . . . » .

﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة : ١٥-١٦] .

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل : ١٢٥] .

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ١] .

والدفاع عن الحرمات : حرمت الدين والنفس والعقل والنسب
والمال والبلاد والأوطان :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَبُونَ ﴿٣٩﴾ وَحَرِّزُوا سَبْتَهُ سَبْتَهُ مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى : ٣٩-٤٢] .

ومناصرة الضعفاء : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء : ٧٥] ، وانظر (الأنعام : ٥٢) .

وإشارة السلم والأمن ، وجعل الحرب ضرورة ، لاسيما حين
اغتصاب الأراضي والبلاد ، كفلسطين وغيرها من بلدان المسلمين :

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال : ٦١] .

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

وإقرار الحريات ومنع الإكراه في الدين :

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف : ٢٩] .

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

ووحدة الأصل والمنشأ الإنساني والمساواة الإنسانية :

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَؤَارِكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

والتزام جانب العدل بدقة مع الناس ولو كانوا أعداء :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوْا شَعْبِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْمَدَىٰ وَلَا الْقَلْبِدَ

وَلَا ءَامِينَ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى

الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[المائدة : ٢] .

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُؤُونًا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٨] .

والتزام جانب الحذر حال التهمة :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء : ٧١] .

وإحسان الظن حال ظهور القرائن على إضمار الخير : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

ومودة أهل الكتاب غير المقاتلين ، والحذر من اليهود :

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾

[الممتحنة : ٨] .

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا

وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ۗ

[المائدة : ٨٢] .

والصراحة في القول ، وعدم التباس الحق بالباطل :
﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَاتَّبَعْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[آل عمران : ٧١] .

وإعداد القوى الملائمة للدفاع :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

واستئصال أسباب القلق باعتناق الإسلام :

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

ومقاومة المتكبرين والظالمين :

﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا مَسَّكُمْ النَّارُ ﴾ [هود : ١١٣] .

﴿ وَلَا تُصِعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

[لقمان : ١٨] ، (قصة فرعون وقارون ، انظر سورة القصص في قصة
قارون : ٧٦-٨٣) ، (وانظر قصة فرعون في الأعراف : ١٢٧-١٣٧ ،
يونس : ٨٣ ، ٩٢ ، الزخرف : ٤٦-٥٥ ، طه : ٢٤ ، ٧٦ ،
النازعات : ١٧-٢٦) .

أهداف القيم وأنشطة أهلها وسلوكياتهم :

هذه هي أهم القيم الإنسانية في القرآن الكريم يمكن أن تشير إليها
طائفة من الآيات ، أو آية منها بإجمال واقتضاب ، مثل صفات عباد
الرحمن في أواخر سورة الفرقان (٦٣-٧٧) ، وآية :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ

وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة : ١٧٧﴾ .

وآية : ﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ
الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص : ٧٧] .

وآية : ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّادِقِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا
صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل : ١٢٥-١٢٨] .

وآيات : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .
وآيتي : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل : ٩٠-٩١] .

* * *

خصائص القيم الإنسانية في القرآن

تمتاز قيم الإنسان في القرآن الكريم الفردية والاجتماعية ، بمنطقيتها وواقعيتها ونفعيتها ، لأنها من أجل بناء الإنسان وهي للإنسان نفسه ، وكونها تهدف إسعاد الفرد والجماعة ، وإقامة المجتمع الفاضل ، وأنها خالدة على ممر الزمان .

أما منطقيتها : فهي تنسجم مع التفكير الإنساني السليم ولم يستطع أحد من الفلاسفة والمفكرين الغض من قيمة أي واحدة من هذه القيم الإنسانية في القرآن الذي هو كلام الله القديم :

﴿ وَإِنَّكُمْ لَكَاتِبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] .

وأما واقعيتها : فلا شك في أنها تتلاءم مع واقع الحياة ، وتنسجم مع مقتضيات الفطرة ، وتتجاوب مع مشاغل الحياة في كل عصر ، فهي ليست نظرية مثالية بحتة ، ولا مجرد خيالات صوفية ، ولا غريبة عن تصور الإنسان وآماله وآلامه .

وأما نفعيتها : فهي التي تدني الخير من الإنسان ، إن عاجلاً أو آجلاً ، ولن تخلو عنها الفائدة المرجوة في عالمي الغيب والشهادة .

وأما إسعادها الفرد والجماعة : فلأنها تقوم على مبدأ الوسطية والاعتدال ، فلا هي فقط من أجل الفرد ومصالحه وتطلعاته ، ولا هي

من أجل الجماعة وحدها ، وإنما تعتمد على مبدأ التوازن والانسجام بين مصالح الأفراد والجماعات .

وأما إقامتها المجتمع الفاضل أمل البشرية وحلم الإنسان ؛ فلأنها توفق بين مطالب المادة والروح ، والجسد والنفس ، والحقوق والواجبات في ظل رقابة دقيقة من السلطة العادلة التي تحكم بحكم القرآن .

وأما خلودها فمقتبس من خلود شريعة القرآن والإسلام ، ومن كون هذه الشريعة خاتمة الشرائع الإلهية ، ومن كونها من مرضاة الله للناس قاطبة :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[آل عمران : ٨٥] .

* * *

اتباع الهوى ومنهى العصف بالقيم

إن المتأمل في واقع المسلم المعاصر في سلوكه الاجتماعي ، يرى مع الأسف تناقضاً واضحاً ، أو انفصاماً مثيراً للتساؤل بين ما يعتقد ويتدين به ، وبين تصرفاته ومعاملاته وسلوكه العام ، فليس واقعه معبراً عن التزام صحيح لقيم دينه وشرع ربه ، تراه يصوم ويصلي ، ويحج ويزكي ، أو يتحمس لإسلامه ويدافع عنه عاطفياً ، دون تقدير أو احترام لبعض ما حظره الدين ، ففي مجال التجارة قد لا يتورع من أكل الربا أو الفائدة ، وفي أثناء السفر لخارج البلاد قد يتناول الحرام من لحم خنزير أو شرب مسكر ، أو اقتراف معصية ، أو غشيان فاحشة ، في بلد مسلم أو غير مسلم .

وربما يتأول لفعله ، فيزعم الحل أو الإباحة ، أو يتذرع بالحاجة والضرورة ، أو بمخالفة الجانب الآخر في الدين والاعتقاد ، أو بتقييد الأحكام الشرعية في بلاد الإسلام ، دون ما عداها من بلاد غير المسلمين ، أو قد لا يتجاوز الأمر مجرد مجاملة أو استحياء من الآخرين .

وهذا كله من وساوس الشيطان ، وتذرع بأوهى الأسباب ، واتباع محض للأهواء والشهوات ، إذ إن شرع الله واحد لا يتبدل ولا يتغير بسبب الزمان والمكان والأشخاص ، والحلال في دار الإسلام حلال في دار الحرب ، والحرام في دار الإسلام حرام في دار الحرب ، ولا تُحلُّ

دار الحرب ما كان أصله محرماً في دار الإسلام ، على حد تعبير الشافعي رحمه الله تعالى .

وقيم القرآن الكريم دستور المسلمين ، سواء أكانت قيماً شخصية بحتة ، أم اجتماعية ، أم إنسانية عالمية ، لا تتبدل ولا تتلون ، ولا تتأثر بالظروف الشخصية أو المعايير المصلحية ، إلا في الحدود المقررة المرسومة لها في نطاق العبادات أو المعاملات ، كالمرض أو السفر ، أو العجز الدائم ونحوها من الأسباب المخففة ، التي لا تلغي أصل الحكم الشرعي ، وإنما تجيز الانتقال إلى بدائل وأحكام أخرى تنوب عن الأحكام الأصلية .

وبه يتبين أن الانتقال إلى البديل مقصور على تقدير الشرع ، لا بحسب الشهوة والهوى ، ومحاولة إخضاع الأحكام أو القيم لمزاعم الإنسان ورغائبه الخاصة ، فلقد أوصد الدين الحنيف كل منافذ الأهواء ، ليضمن سلامة المبادئ وهيمنتها على السلوك الإنساني في كل الأحوال العادية التي لا تلجئ إلى الأحوال الاضطرارية المعروفة إذا توافرت معايير الضرورة وضوابطها الشرعية ، وما أكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تندد باتباع الهوى وخطوات الشيطان ، والإصغاء لوساوسه ، قال الله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ بَلْ أَلَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧١] .

ويؤيد ذلك قوله سبحانه :

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾

[محمد : ١٤] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِن مَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

ويحذرنا النبي صلوات الله وسلامه عليه من المظاهر المرضية المدمرة لبناء الجماعة ، ومصلحة الأمة ، ومن أخطرها اتباع الهوى الذي يمكن أن يكون في هذا العصر هو الظاهرة البارزة في سلوك الناس ، فيقول : « بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام ، فإن من ورائكم أياماً ، الصبر فيهنّ مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهنّ مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم »^(١) .

* * *

(١) رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن ، وأبو داود في الملاحم ، وابن ماجه في الفتن .

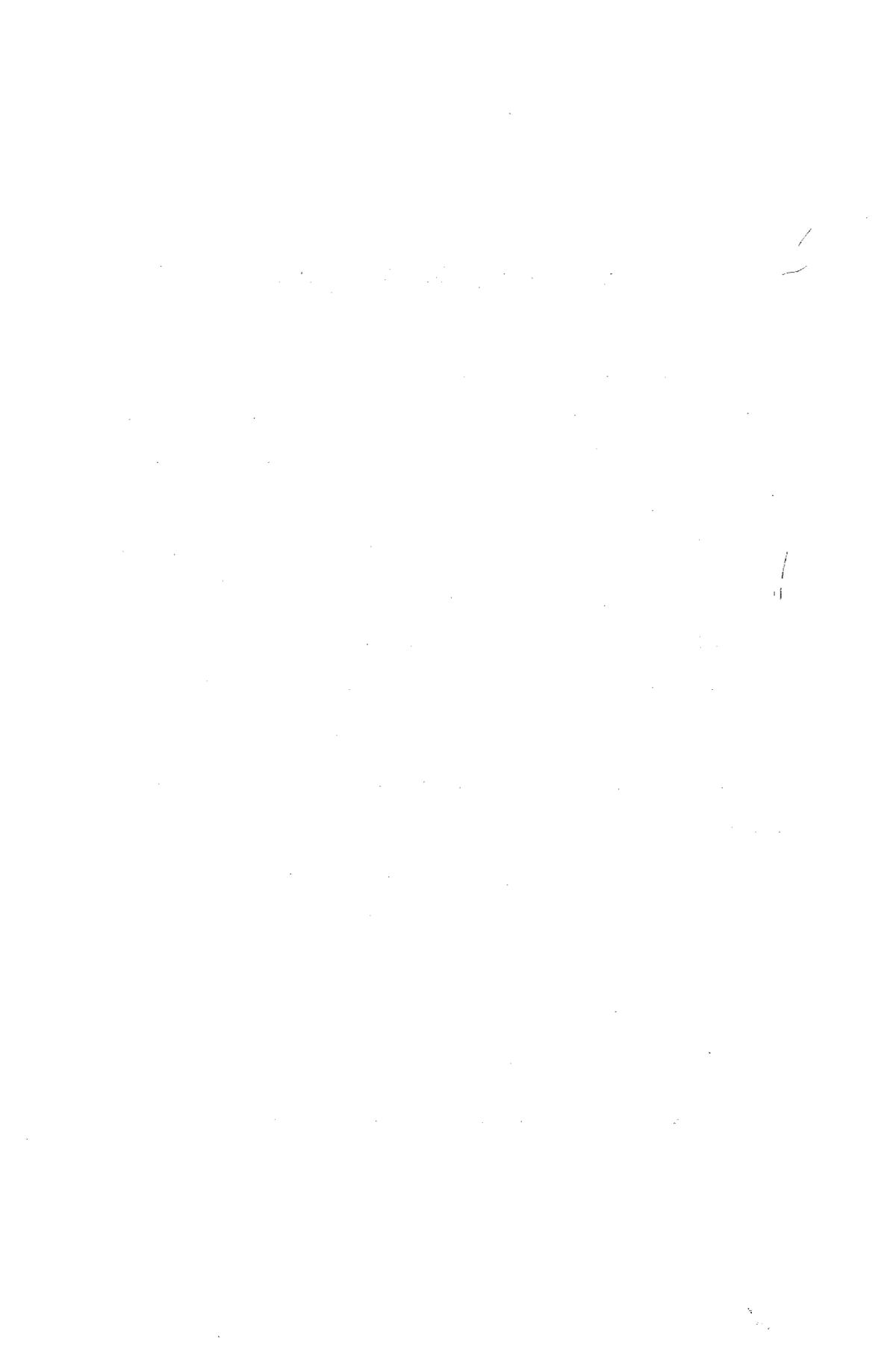
نتائج اتباع القيم واهتزازها

إن في اتباع الأهواء مفسد ومضارّ واضحة ، من أهمها : إشاعة الفوضى ، وفقدان الأنظمة ، واضطراب الأحوال ، وتسلب القوي ، وظلم الضعيف ، وإثارة القلاقل ، وعدم الطمأنينة ، وانعدام الأمن .

وأما حب القيم واحترامها والتزامها ، فدلّيل على التحضر والتمدن ، وسبب لتوفير السعادة والراحة ، إذ هو صمام أمان ضد المخاطر التي تهدد في النهاية مصالح الأفراد أنفسهم ، وإن بدا في أول الأمر عدم التأثير المباشر بسبب التهاون بها ، لذا وجب على الإنسان أن يكون احترامه للقيم نابعاً من قناعته الخاصة بجدواها وأهميتها ، وبانعكاس آثارها عليه إن عاجلاً أو آجلاً .

ولن أرغب في جعل نفسي هنا واعظاً ، أو مصدرّاً للنظريات ، أو راعياً للفضيلة ، أو حارساً للقيم ، وإنما أريد أن أقارن بين مجتمعنا الإسلامي ، والمجتمعات الأخرى ، في مجال التعامل القائم على الثقة ، والنابع من ضرورة حماية المصلحة الحقيقية للإنسان نفسه .

* * *



نماذج من القيم الخالدة

وأذكر هنا أمثلة ثلاثة فقط من قيم الإسلام الخالدة التي التزمها غيرنا ، وغابت لدينا وعن ذاكرة بعض الشبان أو الكهول المسلمين في ثانيا تحركاتهم الاجتماعية ، وتلك القيم هي الصدق ، والأمانة ، والوفاء بالعهد ، وهي التي يمكن رد مختلف القيم الإسلامية لها ، وصدورها في الواقع عنها ، وتأثرها بها .

انطلقت النهضة الصناعية الجبارة في الغرب معتمدة على قيم كثيرة ، وانتعشت حركة الصادرات والواردات الضخمة عبر البر والبحر والجو ، بالاعتماد على أصول وقوانين نابعة في الأصل من قيم اخلاقية ، ترجمت إلى انظمة أو أعراف تجارية وعادات ، التزمها الصانع والمستصنع والمصدّر والمستورد ، وازدهرت حركة السياحة بأعراف مردها إلى الأخلاق ، وقامت الخدمات الفندقية على أساس خلقي ، وكل هذه الأوضاع الجديدة حريصة على كسب الثقة ، وتوفير السمعة الحسنة والشهرة ، واكتساب الزبائن والعملاء من طريق المعاملة الطيبة ، بعد توفير عنصر الجودة والإتقان ، وذلك يحقق أرباحاً ذات مردود أفضل في وسط المنافسة الحرة ، والتزاحم على فتح الأسواق العديدة أمام المنتجات والصناعات المتنوعة . وأساس كل هاتيك القيم : هو الصدق والأمانة والوفاء بالوعد أو العهد ، ويخطيء كل من يظن أن مظاهر التقدم الحديثة لم تتركز على قيم خلقية ، وإن كانت متأثرة بالحفاظ على المصلحة ، فهي مع ذلك تظل قيماً .

الصدق :

إن فضيلة الصدق مع الله تعالى ومع النفس ومع الآخرين عنوان الرجولة والشجاعة والقوة والجرأة ، لذا أمر الله تعالى بالصدق كل مؤمن ، فقال سبحانه :

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

بل إن الحق سبحانه لم يدع الأمر مجرد اختيار ، وإنما كان محل سؤال ونقاش ، فقال تعالى :

﴿ لَيْسَ لَ الصّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ؕ وَاَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا اَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٨] .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَىٰ اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ؕ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٢٢-٢٣] .

الأمانة :

الأمانة سواء بأداء الحقوق والتكاليف الإلهية ، أو بأداء حقوق الناس الأدبية والمادية ، قاعدة كل بناء وتقدم ورفعة ، وأساس النجاة من المسؤولية والحساب وما يتبعه من لوم وعتاب وعقاب ، إذ إن الخيانة سبيل تردي المجتمعات ، وانحلال الشخصيات ، وتدمير الكرامة ، وهز الثقة ، والإنذار بالفشل والخسارة المحققة ، لذا أشاد القرآن بالأمانة ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

والأمانة في كل شيء : الأمانة في الصلاة ، والأمانة في الصوم ، والأمانة في الوضوء ، والأمانة في الحديث ، وأشد ذلك الودائع . وقد

أخبر النبي ﷺ أن الأمانة أول شيء يرفع ، ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ، ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم ، وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « أربع إذا كن فيك ، فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ الأمانة ، وصدق الحديث ، وحسن خليقة ، وعفة طعمة » .

الوفاء بالعهد :

والوفاء بالعهد أو الوعد أو العقد والالتزام أساس مكين في العلاقات والمعاملات الداخلية والخارجية الدولية ، إذ لولاه لافتقدت الثقة والاطمئنان بين الناس ، وعامل الثقة لا بد منه في كل تعامل ، ومن محور الثقة يطمئن الإنسان لما يعطي أو يأخذ ، لذا اعتبر الإسلام الوفاء بالعهد من أصول الإيمان ومقتضياته ، وكرر القرآن الأمر به ، وحذر من الغدر والخيانة ، ونقض العهد والميثاق ، وقال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُوبِ ﴾ [المائدة : ١] .

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٢٤] .

وجعل الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ يَعْهَدُونَ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وأما جزاء نقض العهد فهو السقوط من هيبة الله والناس ، والعذاب

في نار جهنم ، قال الله عز وجل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٧] .

جزاء الغدر :

وما أقبح ما صوّر به جزاء الغدر في قول النبي ﷺ : « لكل غادر لواء يوم القيامة ، يُرفع له بقدر عُدرته ، ألا ولا غادر أعظم غدرأ من أمير عامة » (١) .

إن قيم الإسلام الخالدة ، سواء أكانت شخصية كالصدق والصبر وحب الخير ، وجهاد النفس والهوى والشهوة ، أم اجتماعية كالأمانة والإحسان إلى الآخرين ، والكلم الطيب ، والتعاون على البرِّ والتقوى ، أم إنسانية عالمية كالوفاء بالعهد والميثاق ، والحفاظ على الكرامة الإنسانية ، والدفاع عن حرّيات الدين والأهل والديار والبلاد ، والجهاد في سبيل الله ، وإيثار الحرية والسلام .

إن هذه القيم يراد منها كما تقدم إسعاد الفرد والجماعة ، وحماية مصلحة الإنسان نفسه ، وتمتاز بمنطقيتها السديدة ، وبواقعيّتها الأكيدة ، وتتصف بصفة الديمومة والخلود ، وبالتجرد الذي لا يتأثر بالظروف الشخصية ، ويتجاوز حدود البلد والإقليم إلى أن يصبح قيمة كبرى واجبة الاحترام في كل زمان ومكان .

* * *

(١) رواه أحمد ومسلم عن أبي سعيد الخدري .

غاية القيم ودورها في إسعاد الفرد والجماعة

أما غايتها في إسعاد الفرد والجماعة ، فلأنها تقوم على مبدأ الوسطية والاعتدال ، دون إفراط ولا تفريط ، فليست هي فقط من أجل الفرد ومصالحه الذاتية ، وليست أيضاً من أجل الجماعة وحدها ، وإنما تعتمد على تحقيق مبدأ التوازن والانسجام بين المصلحتين الخاصة والعامه . وإذا تحقق الخير العام استفاد المجتمع والأمة ، كما استفاد الفرد أيضاً لتأثر مصالحه بتأثرات البيئة والوسط الذي يعيش فيه ، بل إن المردود النهائي العام بالنفع يعود للإنسان ذاته .

وأما المنطقية والعقلانية في هذه القيم ، فهي واضحة إذ لا يستطيع أي إنسان عاقل المكابرة في جدواها وأهميتها وسلامة بنيتها ، وليس أدل على ذلك من أن قيم القرآن الكريم تتردد قديماً وحديثاً على السنة الحكماء والفلاسفة والمفكرين ، وتعالى الأصوات بها في المحافل الحديثة والمؤسسات الدولية ، سواء أكان هناك صدق في إعلانها ، واستعداد للعمل بها أم لا ، وهذا ترجمان آخر لمصداق كلام الله تعالى :

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] .

﴿ سَتُرِيدُهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

وأما واقعيتها ، فتوجبها الضرورات الحياتية وتقلبات الأحوال ،
فلولاها لجأ الناس بالشكوى والتبرم من سوء الأخلاق ، وهي منسجمة
مع الفطرة النقية وأصالة الإنسان السوي ، وواقع الحياة ، فهي ليست
مجرد نظريات مثالية بحتة ، ولا مجردات خيالية انعزالية ، ولا غريبة
عن تصورات الإنسان وتطلعاته في حياة فضلى ومعيشة هائلة .

* * *

خلود المبادئ الإسلامية

وأما ديمومتها وخلودها ، فلأنها لم تكن مغلقة على مجتمع أو عنصر أو فئة أو جنس معين ، وإنما هي عامة لكل الناس ، ثم إنها مستمدة من خلود شريعة الله الدائمة إلى يوم القيامة ، ذلك الخلود القائم على المبادئ الكلية والقواعد الشاملة ، والضوابط المرنة ، وهذا سبب كونها متجردة لا تراعي المؤمنين بها إذا تصادمت القضايا مع مبدأ العدل والحق ، وهي أيضاً متفتحة لا تقتصر على بلد أو إقليم وهي بالمعنى الشامل إنسانية عالمية ، ليست - كما قد يتصور بعض الكاتبيين - لمعالجة امراض وعصبيات وقبليات العرب في ربوعهم ، فإن مثل هذا التصور يعصف بالإسلام من جذوره ، لأنه خاتمة الشرائع ، وعام النزعة يشمل كل العوالم والأجناس ، بصريح النص القرآني :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

والخلاصة : إن تجاوز قيم الإسلام في عالمنا يسهم بقسط كبير في إبقاء التخلف ، ويعوق كل نهضة وتقدم ، فلم تقم نهضات العالم إلا بالتزام دقيق وتطبيق صارم شديد لمثل هذه القيم الخالدة .

والحمد لله رب العالمين

المحتوى

٥	تقديم
٧	منطلقات المبادئ الإنسانية الثابتة في القرآن
٨	العقيدة الصحيحة
٩	الألوهية وصف ثابت خالد لذات واحدة في الوجود
٩	العدل بين الناس
١٠	محاربة الامتيازات
١٠	رذائل الأخلاق
١٠	العدل مع غير المسلمين
١٠	الخشوع لأمر الله
١١	جهاد النفس والهوى والأعداء
١٢	منهج غير المؤمنين
١٢	التعاون والتراحم
١٥	أنواع القيم الإنسانية في القرآن
١٥	القيم الدينية الإنسانية
١٦	القيم الشخصية الأخلاقية والحياتية
١٩	القيم الاجتماعية
٢٥	القيم العالمية
٢٨	أهداف القيم وأنشطة أهلها وسلوكياتهم

٣١	خصائص القيم الإنسانية في القرآن
٣٣	اتباع الهوى ومنحى العصف بالقيم
٣٧	نتائج اتباع القيم واهترازها
٣٩	نماذج من القيم الخالدة
٤٠	الصدق
٤٠	الأمانة
٤١	الوفاء بالعهد
٤٢	جزاء الغدر
٤٣	غاية القيم ودورها في إسعاد الفرد والجماعة
٤٥	خلود المبادئ الإسلامية
٤٧	المحتوى

* * *